الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزراة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج: (ف1+ف2+ف3)

الحصة التطبيقية الأولى:

نص من كتاب (في السرد العربي القديم)

الحصة التطبيقية 01

نص من كتاب (في السرد العربي القديم)

نستهل حصتنا التطبيقية الأولى بالوقوف مع هذا النص، وتفكيك مفاهيمه بغية استنباط خصائص السرد العربي القديم.

النص:

«احتل السّرد منذ أقدم العصور ومازال مكانة معتبرة في الحياة العربية وكان أساسا مُهما من أسسها لذلك فإنّ الحديث فيه وعنه مغامرة شاقة وشيقة لأسباب عدة منها غواية السرد وفتنته وشدّة أسره والفضول الّذي يحسه الإنسان تجاه الماضي وتجاه السابقين، ومنه خصوصية السرد العربي بكلّ أنواعه عندما كان قائما في إحدى مراحله على الرّواية والنقل الشفهي، ومنها احتياجات العربي»[1].

انطلاقا من النص السابق، سنحاول أن نقف عند خصائص السرد العربي القديم، مؤكدين على وفرة المادة السردية العربية، وتشعُب مصادرها وموضوعاتها وأغراضها وأنواعها ودراساتها، ومنها كذلك الدور الكبير الّذي قامت به في صياغة العقل العربي وإقامة صرح المشروع العلمي العربي عندما كان أحد أهمّ الأدوات الّتي صيغ بها، نظرًا للأُفق المعرفية الكثيرة الّتي يفتحها أمام منتجه ومُتلقيه. وللإحاطة به ليس لدارسه بدّ من النظر في مضامينه ووظائفه وغاياته وخصائصه وبنياته وعلاقاتها بعضها ببعض، لأن السرد أو الرواية أو الحكي أو القص باعتباره استعادة للماضي وتمثلا له كان بمختلف أشكاله وأنواعه محكوما بنسق حياتي معين انعكس على بنية المروي ووجَّهها لخدمة أعراض ومقاصد معينة كانت من صميم حياة الإنسان العربي.

أولا- خصائص النص السردي العربي القديم

إنّ المتتبع الدقيق للسرد العربي ذي النزعة الكتابية يلحظ أن بنيته تتحكم فيها خصوصيات عدة تستحضر في كل نص سردي ضمن مستويات مختلفة وبدرجات متفاوتة[2] وذلك لاختلاف الأشكال السردية، ومن هذه الخصائص نذكر:

---

[1] ابراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، ص 11

[2] ينظر: عبد الوهاب شعلان، السرد العربي القديم، البنية السوسيوثقافية والخصوصيات الجمالية، من موقع:
www.startimes.com/15:59/2015/10/19

1- السرد العربي سرد طلبي

يرد في السرد العربي، وفي النصوص المختلفة نوعين من الطلب السردي: **طلب خارجي وطلب داخلي**.

الطلب الخارجي:

ويكون تحفيزا لعملية التأليف السردي في حد ذاتها، وهو موجه أساسا إلى المؤلف الأول للنص يثيره كي يباشر الحكي ويشكل نصه السردي، نلحظ ذلك في مجموعة من النصوص، **كالبخلاء** مثلا فالجاحظ يتلقى رغبة خارجية في أن يكتب عن البخلاء نجد ذلك في مقدمة الكتاب: **(ذكرت - حفظك الله - أنك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار، وفي تفصيل حيل سراق الليل (...) وقلت: أذكر لي نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء)**، ويأتي **نص الإمتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدي – كذلك، استجابة من المؤلف لرغبة أبي الوفاء المهندس كي يصف له مجالس الوزير بن سعدان، الّذي كان التوحيدي يسامره فهو يقول: **(قد فهمت أيها الشيخ - حفظ الله روحك (...) جميع ما قلته لي بالأمس فهما بليغا ووعيته وعيا تاما (...). وحكمك به لي وعليه أمضى وأنفذ)**. وليست **رسالة الغفران** لأبي العلاء المعري في آخر الأمر إلا استجابة لرغبة ابن القارح في سماع تعقيب المعري الّذي كان رده على شكل نص سردي متخيل في الجزء المخصص للرحلة.

الطلب الداخلي:

يتموقع الطلب الداخلي ضمن البنية السردية للنص، بخلاف الطلب الخارجي الّذي يكون مفارقا للعملية السردية، فهو فعل يتم قبل عملية الكتابة والتأليف[1]. يُحظى الطلب الداخلي بهيمنة داخل نصوص سردية عدة ، يمكن اعتبار نص **"ألف ليلة وليلة"** استجابة لرغبة "شهريار" "لسماع ما تحكي "شهرزاد"، وإن لم يتم الطلب بصيغة واضحة غير أنّه ترد صيغة طلبية داخلية مثل: **(قالت دنيازاد لأختها شهرزاد أتمي لنا حديثك)** الأمر نفسه يتكرر في نص **"كليلة ودمنة"** إذ يطلب "دبشليم" باستمرار من "بيدبا" أن يحكي له محددا إطار الحكي والعبرة منه، ففي باب الأسود والثور على سبيل المثال يأتي الكلام: قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف وهو على رأس البراهمة اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء[2].

[1] ينظر: عبد الوهاب شعلان، السرد العربي القديم، البنية السوسيوثقافية والخصوصيات الجمالية، من موقع: www.startimes.com/15:59/2015/10/19 مرجع سابق

[2] المرجع نفسه

وعليه هناك قاعدة شبه عامة، وهي أنّ السرد يكون جوابا عن سؤال أي تلبية لرغبة أو طلب قد يكتسي صيغة الأمر والمتلقي في أغلب الأحيان هو الّذي يطلب السرد، فالكتابة بهذا النمط تتم تنفيذا لطلب من سلطة، وسواء أكان هذا الطلب فعليا أم لا، فالمهم أن الكتاب يتوجه في النهاية إلى هذه السلطة على شكل إهداء إذ يوضع الكتاب في النهاية في مكتبة السلطة[1].

2- السرد العربي ذو نظام إسنادي:

نجد في معظم النصوص السردية العربية مقدمة إسنادية تحرص على ثباتها طيلة المسار السردي للنص وتتنوع الصيغ الإسنادية من نص إلى آخر، وأحيانا داخل النص الواحد، إذ نعثر على صيغة: **بلغني أيها الملك السعيد** في **ألف ليلة وليلة، وزعموا** في **كليلة ودمنة، وحدثنا عيسى بن هشام** (وهذه هي الصيغة الغالبة) في **مقدمات الهمذاني** وصيغ إسنادية متعدّدة في **البخلاء**..[2].

فهاجس الإسناد الأساسي هو الإقناع بصدق الكلام وحقيقة الحدث لقول شهرزاد: **بلغني**، لا تحيل هذه الصيغة على تواصل شفاهي فقط بل أنّ الإبلاغ عن أمر وصل إما مشافهة أو كتابة، وإما بطرق مختلفة ويبدو أن معنى التواصل الكتابي هو الأرجح لاسيما إذا علمنا أن شهرزاد " قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم الماضين" وأنها من ناحية أخرى ابنة وزير، كلّ ذلك يجعل من الفعل "بلغني" ذا حضور مميز، إنها تسند سرودها إلى مصدر موثوق وذي هيمنة وسلطة. وفي كليلة ودمنة ترد الصيغة التالية: "زعموا" يكررها بيدبا طيلة المسار السردي للنص، ولا شك أن بيدبا " قد اخترع تلك الحكايات لدبشليم الملك، ومع ذلك فإنه يسندها إلى آخرين عبر الفعل "زعموا" المسند إلى ضمير الجمع إمعانا في تحقيق المصداقية[3]

وبذلك فالغرض من النظام الإسنادي للسرود العربية هو تحقيق وظيفتين، تحقيق المصداقية الحكائية والتوثيق السردي من ناحية وممارسة المنشئ لسلطته على المتلقي الّتي ليست في آخر الأمر إلا جدلية الثقافي والسياسي، وهناك صيغ مختلفة في النصوص السردية العربية مثل: (حكى، روى، بلغ، حدث،

[1] ينظر: عبد الوهاب شعلان، السرد العربي القديم، البنية السوسيوثقافية والخصوصيات الجمالية، من موقع:
www.startimes.com/15:59/2015/10/19
[2] المرجع نفسه
[3] المرجع نفسه

قال الراوي...) الّتي تمنح الشمولية لحكاية الراوي وخبره، فقد ظل السند في ظل المشافهة السبيل الوحيد للتثبت من صحة انتساب الحديث[1].

3 - النص السردي العربي يشتغل على آلية التضمين الحكائي

تخضع الكثير من النصوص السردية العربية إلى منطق التضمين السردي، فثمة حكاية إطارية تشكل محور النص العام، وبؤرة العملية السردية تتناسل منها عبر الخيط الحكائي مجموعة من الحكايات تتكون ضمن هذا الإطار، وتتفرع هذه القصص إلى عشرات أخرى غيرها بصورة عنقود من الحكايات القصيرة التي يغذيها ذلك الإطار نلحظ ذلك بوضوح في ألف ليلة وليلة، حيث تتوالد الحكايات باستمرار مشكلة بنية سردية متداخلة[2].

تستند آلية التضمين السردي في ليالي شهرزاد على مرجع خرافي، إذ إنّ الحكاية الخرافية عادة ما تشتغل على فعالية سردية تسمح باندراج أفعال قصصية ثانوية في سيادتها تتوالد باستمرار وتغذي الإمكانات السردية في الحكاية الإطار الّتي هي بمثابة الحكاية الأم الّتي تمد الحكاية الثانوية بأسباب الحياة والتوالد والبقاء المستمر، ويشكل فعل التضمين الحكائي في نص كليلة ودمنة شبه بنية ثابتة إذ لا تخلو قصة من تواجد حكاية إطار تتفرع عنها حكاية أخرى أو أكثر ليعود المسار السردي في الأخير إلى نقطة الحكاية الأم لأجل دعم فعالية الحكي يلجأ بيدبا إلى إقحام حكايات أخرى لكن ضمن استراتيجية سردية، يأخذ فعل التشويق والإبهار فيها شكلا ثابتا ودائما[3].

وتأتي هذه الصيغة باستمرار كآلية تحفيزية لتؤدي فعل الوظيفة الانتباهية، فيكون رد فعل المتلقي مباشرة وكيف كان هذا؟، يبدو أن المسار السردي الذي رسمه بيدبا يطمح إلى الوصول إلى هذا التساؤل ليكون فعل التوالد السردي فعلا مشروعا لأن المتلقي يرغب في ذلك، إذ يحرص بيدبا على أن تتكون عند دبشليم رغبة في السرد وذلك حتى يضمن متابعة يقظة ومتحمسة، ويجعل المتلقي يشارك في العملية السردية.

---

[1] ينظر: عبد الوهاب شعلان، السرد العربي القديم، البنية السوسيوثقافية والخصوصيات الجمالية، من موقع: www.startimes.com/15:59/2015/10/19 مرجع سابق

[2] المرجع نفسه

[3] المرجع نفسه

4 - النص السردي العربي يشتغل على آلية المفارقة

وتتمثل هذه الاحتوائية في قدرة النص على احتواء المتناقضات ليغدو من خلالها حيزا دراميا تتنفس مكوناته الخصوصية الإشكالية. يطرح ظاهرا ويخفي مستورا، يقول متعارفا ويبطن مضمرا، نص يمارس لعبة البوح والسكوت بصورة تحفز المخزون الدلالي المنطوي عليه، تتمظهر المفارقة في مستويات متباينة فقد تكون سلاحا للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق عما وراءه من هزيمة الإنسان، ضمن هذه الأفق تشتغل كثير من النصوص السردية العربية، نصوص تظهر مظهرا ساخرا وتبطن حقائق درامية إشكالية، ويكبر السؤال حينما نجد معظم المقاربات الفكرية والسردية لهذه النصوص تؤسس لنفسها من خلال الأفق الأول أعني الفضاء المظهري للسخرية[1].

ففي المقامات يحاول أبو الفتح الإسكندري أن يمتلك كافة آليات التمويه والمراوغة من أجل معالجة الواقع فتظهر هذه الشخصية في كل مرة متنكرة بزي ما أو منتحلة شخصية معينة في أجواء تثير الضحك والسخرية، لكنها الأجواء التي لا تلبث أن تنطق بالحكمة وتكشف الواقع[2].

5- النزعة الغرائبية والعجائبية في النص السردي العربي

تنزع كثير من السرود نزوعا غرائبيا عجيبا حيث تتعمد مفارقة الواقع والارتحال إلى مناطق خيالية لم تعرفها الخبرة الإنسانية فتغدوا بذلك فضاء يعج بالأسرار والطلاسم والأشياء المفارقة للواقع، نعثر على هذه الخصوصيات العجائبية بصورة مكثفة في نص الليالي وبصورة أقل كثافة في رسالة الغفران للمعري، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد، ينهض الأدب الغرائبي (Littérature Fantastique) عند تودوروف على ثلاثة شروط هي: الحدث الخارق والمفارقة للمعقول، حيرة القارئ وتردد البطل أو شخصية داخل النص العجيب. ومع ذلك فإن تودوروف لا يولي هذه الشروط الثلاثة الأهمية نفسها فهو يرى أنّ الشروط الثلاثة لها نفس القيمة، فالأول الأحداث اللامعقولة، والثالث التردد في التأويل يمثلان حقا الجنس الأدبي، إذ قد يكون النص عجيبا دون أن تعثر على بطل في مجال الحيرة، بل قد يتصرف بكل تلقائية وطبيعية ومن هنا تكتسي الفاعلية التأويلية في الأدب العجائبي مكانة متميزة ففعل القراءة هو وحده الذي يمكن أن يموقع النص في إطاره الخاص انطلاقا من آليات التأويل[3].

---

[1] ينظر: عبد الوهاب شعلان، السرد العربي القديم، البنية السوسيوثقافية والخصوصيات الجمالية، من موقع: www.startimes.com/15:59/2015/10/19 مرجع سابق

[2] المرجع نفسه

[3] المرجع نفسه

ينطوي نص الليالي على مخزون عجائبي متميز، يغدو النص من خلاله فضاء للمفارقة والصراع الذي تخوضه كائنات غير طبيعية، لأن كل حكاية تروى لابد أن تنطوي على شيء من السحر والغرابة بصورة تدعو إلى التحفيز وتبرير العملية السردية التي تمارسها "شهرزاد" وسلسلة الرواة التي تديرها لأنّه إذا لم تكن الحكاية عجيبة وغريبة فإنّها لا تستحق أن تروى، ومن هنا يأخذ التباعد الزماني (كان في قديم الزمان)، والتباعد المكاني (حين ينتقل البطل إلى أرض بعيدة) شكل التبرير للغرائبية. وضمن فضاء الغرابة تأتي "رسالة الغفران" نصا مشحونا بزخم عجائبي بيد أنّه لا يرقى إلى مستوى التوظيف الجمالي المكثف في نص الليالي، ينسج المعري رحلة سردية متخيلة تقود ابن القارح إلى فضاء مكاني مفارق ومشحون بكل الدلالات الأسطورية والرمزية إنّه فضاء الجنة والنار[1].

انطلاقا مما سبق نخلص إلى أنّ موروثنا السردي العربي يزخر بأشكال سردية متنوعة وثرية بأساليب حكائية مختلفة، تعمل على جذب المتلقي وتشويقه.

[1] ينظر: عبد الوهاب شعلان، السرد العربي القديم، البنية السوسيوثقافية والخصوصيات الجمالية، من موقع: www.startimes.com/15:59/2015/10/19 مرجع سابق